أسماء الله الحسنى

الحكيم الحكم الحاكم

اللقاء التاسع والعشرون

✉قال ابن القيم: "فالسَّير إلى الله من طريق الأسماء والصِّفات شأنُه عجَب وفتحه عجَب، صاحِبُه قد سبقَت له السَّعادة وهو مستلقٍ على فراشه غير تعِبٍ ولا مَكدود، ولا مشتَّت عن وطنه، ولا مشرَّد عن سكنه".

✉وقال رحمه الله: "أَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، فَلَا تَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمٍ آخَرَ".

✉ومن أحصى أسماء الله فعرف معناها وعمل بمقتضاها دخل الجنة كما قال -صلى الله عليه وسلم، وعندما يتأمل الإنسان في أسماء الله -تعالى- فإنه سيظهر له الكثير من الحِكَم والمعاني، وكذلك الكثير من الآثار والعبر النافعة له في أمر الدنيا والدين؛ لأن فهمَ معانيها من أسباب تقوية الإيمان، وليعظِّم الرحمن، وليعرفَ قدرَهُ الإنسان ، فإنه إذا عرف الإنسان حقيقته وأنه مخلوق والله سبحانه هو الخالق، وأنه ضعيف والله القوي، وأنه محتاج والله المعطي، وأنه عاجز والله القادر، فإنه عند ذلك يكون قد عرف ما يجب عليه تجاه ربه ثم تجاه نفسه، وقد قالوا قديما: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"، والمعرفة الصحيحة والكاملة تكون لله، ثم للنفس، فتنعكس على ما يصدر عن ذلك الإنسان من أفعال وأقوال في سائر شؤون الحياة.

✉فدعونا اليوم نتعلم معنى الحكيم الحكم الحاكم، نتأمل في معانيها، وننظر في آثارها، ونربطها بشيء من واقعنا.

✉ونخص اسمه الحكيم، لان الله ساقه لنا في القرآن أَرْبَعًا وَتِسْعِينَ مَرَّةً، وفي جميع المواضع يقرنه باسم آخَر من أسماء الله تعالى، فتارة مع العزيز، وتارة مع العليم، وتارة مع الخبير، أو مع غيرها من أسماء الله الحسنى.

☜وُرُودُهُ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ:

وَرَدَ اسْمُهُ (الحَكَمُ) فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: 114].

وَوَرَدَ (الحَاكِمُ) بِصِيغَةِ الجَمْعِ فِي خَمْسِ آيَاتٍ مِنْهَا:

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87].

قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8].

وَأَمَّا الاسْمُ (الحَكِيمُ) فَقَدْ وَرَدَ أَرْبَعًا وَتِسْعِينَ مَرَّةً مِنْهَا:

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228]، [البقرة: 240].

قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: 26].

قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]، [الأنعام: 73].

قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 10].

قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 130].

الدَّلَالَاتُ اللُّغَوِيَّةُ لِاسْمَيِ (الحَكِيمُ وَالحَكَمُ):

الحَكِيمُ فِي اللُّغَةِ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، فِعْلُهُ حَكَمَ يَحْكُمُ حُكْمًا وَحُكُومَةً، وَالحَكِيمُ يَأْتِي عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ؛ مِنْهَا الإِحَاطَةُ وَالمَنْعُ، فَحَكَمَ الشَيءَ يَعْنِي مَنَعَهُ وَسَيْطَرَ عَلَيْهِ وَأَحَاطَ بِهِ، وَمِنْهَا حَكَمَةُ اللِّجَامِ وَهِيَ الحَدِيدَةُ المَانِعَةُ لِلدَّابَّةِ عَنِ الخُرُوجِ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُ حَسَّانِ بنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه: فَنَحْكُمُ بِالقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ♦♦♦ وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ، أَيْ نَمْنَعُ بِالقَوَافِي مَنْ هَجَانَا.

وَيَأْتِي الحَكِيمُ عَلَى مَعْنَى المُدَقِّقِ فِي الأُمُورِ المُتْقِنِ لِهَا، فَالحَكِيمُ هُوَ الذِي يُحْكِمُ الأَشْيَاءَ وَيُحْسِنُ دَقَائِقَ الصِّنَاعَاتِ وَيُتْقِنُهَا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ حَكِيمًا قَدْ أَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ. [لسان العرب].

وَالحَكِيمُ أَيْضًا هُوَ الذِي يُحْكِمُ الأَمْرَ وَيَقْضِي فِيهِ وَيَفْصِلُ دَقَائِقَهُ وَيُبَيِّنُ أَسْبَابَهُ وَنَتَائِجَهُ، فَالحَكِيمُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى حَاكِمٍ مِثْلَ قَدِيرٍ بِمَعْنَى قَادِرٍ وَعَلِيمٍ بِمَعْنَى عَالِمٍ، وَاسْتَحْكَمَ الرُّجُلُ إِذَا تَنَاهَى عَمَّا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ. [مفردات ألفاظ القرآن].

المَعْنَى فِي حَقِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: 114]: "قُلْ: فَلَيْسَ لِي أَنْ أَتَعَدَّى حُكْمَهُ وَأَتَجَاوَزَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا حَكَمَ أَعْدَلَ مِنْهُ، وَلَا قَائِلَ أَصْدَقَ مِنْهُ".

قَالَ القُرْطُبِيُّ: "وَالمَعْنَى أَفَغَيْرَ اللهِ أَطْلُبُ لَكُمْ حَاكِمًا".

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ: "الحَكَمُ الحَاكِمُ وَمِنْهُ المَثَلُ: (فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ)؛ وَحَقِيقَتُهُ هُوَ الذِي سَلِمَ لَهُ الحُكْمُ وَرُدَّ إِلَيْهِ فِيهِ الأَمْرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 46]".

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8]؛ أَيْ: أَمَا هُوَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ الذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا".

وَقَالَ الحُلَيمِيُّ: "مَعْنَى (الحَكَمِ): وَهُوَ الذِي إِلَيْهِ الحُكْمُ، وَأَصْلُ الحُكْمِ مَنْعُ الفَسَادِ، وَشَرَائِعُ اللهِ تَعَالَى كُلُّهَا اسْتِصْلَاحُ العِبَادِ".

✉وَالحَكِيمُ سُبْحَانَهُ: هُوَ المُتَّصِفُ بِحِكْمَةٍ حَقِيقِيَّةٍ عَائِدَةٍ إِلَيْهِ وَقَائِمَةٍ بِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ وَالتِي مِنْ أَجَلِهَا خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَأَسْعَدَ وَأَشْقَى، وَأَضَلَّ وَهَدَى، وَمَنَعَ وَأَعْطَى، فَهُوَ المُحْكِمُ لِخَلْقِ الأَشْيَاءِ عَلَى مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي كُلِّ مَا فَعَلَهُ وَخَلَقَهُ، حِكْمَةً تَامَّةً اقْتَضَتْ صُدُورَ هَذَا الخَلْقِ، وَنَتَجَ عَنْهَا ارْتِبَاطُ المَعْلُولِ بِعِلَّتِهِ وَالسَّبَبِ بِنَتِيجَتِهِ، وَتَيْسِيرَ كُلِّ مَخْلُوقٍ لِغَايَتِهِ، وَإِذَا كَانَ اللهُ عز وجل يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ لَهُ قَضَاءٌ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، إِلَّا أَنَّهُ الحَكِيمُ الذِي يَضَعُ الأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَيَعْلَمُ خَوَاصَّهَا وَمَنَافِعَهَا، وَيُرَتِّبُ أَسْبَابَهَا وَنَتَائِجَهَا.[الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد].

📃قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: "الحَكِيمُ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى، وَالحِكْمَةُ مِنْ صِفَاتِهِ العُلَى، وَالشَّرِيعَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ أَمْرِهِ مَبْنَاهَا عَلَى الحِكْمَةِ، وَالرَّسُولُ المَبْعُوثُ بِهَا مَبْعُوثٌ بِالكِتَابِ وَالحِكْمَةِ، وَالحِكْمَةُ هِيَ سُنَّةُ الرَّسُولِ وَهِيَ تَتَضَمَّنُ العِلْمَ بِالحَقِّ وَالعَمَلَ بِهِ وَالخَبَرَ عَنْهُ وَالأَمْرَ بِهِ، فَكُلُّ هَذَا يُسَمَّى حِكْمَةً، وَفِي الأَثَرِ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، وَفِي الحَدِيثِ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةٌ، فَكَمَا لَا يَخْرُجُ مَقْدُورٌ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَهَكَذَا لَا يَخْرُجُ عَنْ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ حَمْدًا اسْتَحَقَّهُ لِذَاتِهِ وَصَدَرَ عَنْهُ خَلْقُهُ وَأَمْرُهُ، فَمَصْدَرُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَنِ الحِكْمَةِ".

📃الحَكَمُ: بِفَتْحَتَيْنِ هُوَ الحَاكِمُ، وَهُوَ الذِي يَحْكُمُ وَيَفْصِلُ فِي سَائِرِ الأُمُورِ.

✉وَالحَكَمُ سُبْحَانَهُ: هُوَ الذِي يَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ كَمَا أَرَادَ، إِمَّا إِلْزَامًا لَا يُرَدُّ وَإِمَّا تَكْلِيفًا عَلَى وَجْهِ الابْتِلَاءِ لِلعِبَادِ، فَحُكْمُهُ فِي خَلْقِهِ نَوْعَانِ:

أَوَّلًا: حُكْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالتَّدْبِيرِ الكَوْنِيِّ: وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالمَشِيئَةِ، وَمَشِيئَةُ اللهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالمَعْنَى الكَوْنِيِّ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَمِنْ ثَمَّ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَمِنْ هَذَا الحُكْمِ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41]، وَكَذَلِكَ قَوْلِهِ: ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 112]، أَيِ: افْعَلْ مَا تَنْصُرُ بِهِ عِبَادَكَ، وَتَخْذُلُ بِهِ أَعْدَاءَكَ.

ثَانِيًا: حُكْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالتَّدْبِيرِ الشَّرْعِيِّ: وَهُوَ حُكْمٌ تَكْلِيفِيٌّ دِينِيٌّ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ وَمَوْقِفُ المُكَلَّفِينَ يَوْمَ الحِسَابِ، وَمِثَالُهُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: 1]، وَمِثَالُ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: 10].

✍وللحكيم معنيان: أحدهما: الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من جميع الوجوه، والخلق كلهم محكومون، له الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه، ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله، فلا حاكم إلا الله، ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله، قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة:50]. وقال تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[الشورى:10].

✉وللحكيم معنى آخر، وهو ذو الحكمة، والحكمة ضد السفه، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

✉ولذلك كانت أحكام الله الكونية والشرعية والجزاء مقرونة بالحكمة ومربوطة بها، فلم يخلق سبحانه شيئًا عبثًا، ولم يترك خلقه سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فما أعطى الله شيئًا إلا لحكمة، ولا أنعم بنعمة إلا لحكمة، ولا أصاب بمصيبة إلا لحكمة، وما أمر الله بشيء إلا لحكمة، والحكمة في فعله والتزامه، ولا نهي عن شيء إلا لحكمة والحكمة في تركه واجتنابه، قال تعالى مقررًا هذه الصفة العظيمة صفة الحكمة: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) [المؤمنون:115-116]. وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)[ص: 27]، وللحكيم معنى ثالث وهو المحكم الذي أحكم كل شيء خلقه فما في خلق الرحمن من تفاوت ولا تناقض ولا خلل، صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ وليس في شرعه من تناقض ولا اختلاف، قال تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[النساء: 82] (الضياء اللامع من الخطب الجوامع 86/1-87).

🖉أَيُّهُمَا أَبْلَغُ (الحَكَمُ) أَمْ (الحَاكِمُ):

🗐قال القرطبي: "قِيلَ إِنَّ الحَكَمَ أَبْلَغُ مِنَ الحَاكِمِ؛ إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ التَّسْمِيَةَ بِحَكَمٍ إِلَّا مَنْ يَحْكُمُ بِالحَقِّ؛ لِأَنَّهَا صِفَةُ تَعْظِيمٍ فِي مَدْحٍ، وَالحَاكِمُ جَارِيَةٌ عَلَى الفِعْلِ، فَقَدْ يُسَمَّى بِهَا مَنْ يَحْكُمُ بِغَيْرِ الحَقِّ"[الجامع لأحكام القرآن] اهـ.

🖃وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ مَا يُفِيدُ كَرَاهَةَ التَّكَنِّي بِالحَكَمِ.

🖉وَأَمَّا عَنْ مَعْنَى (الحَكِيمِ):

🗐وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: "(الحَكِيمُ) الذِي لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ".

🗐وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ: "حَكِيمٌ فِيمَا قَضَى بَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ قَضَايَاه".

🗐قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "الحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ فَيَضَعُ الأَشْيَاءَ فِي مَحَالِّهَا بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ".

🗐وَقَالَ الحُلَيْمِيُّ: "(الحَكِيمُ) وَمَعْنَاهُ الذِي لَا يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا الصَّوَابَ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَفْعَالَهُ سَدِيدَةٌ، وَصُنْعَهُ مُتْقَنٌ وَلَا يَظْهَرُ الفِعْلُ المُتْقَنُ السَّدِيدُ إِلَّا مِنْ حَكِيمٍ، كَمَا لَا يَظْهَرُ الفِعْلُ عَلَى وَجْهِ الاخْتِيَارِ إِلَّا مِنْ حَيٍّ عَالِمٍ قَدِيرٍ".

🗐قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ-: "وَٱلْحَكِيمُ" يَتَضَمَّنُ حُكْمَهُ وَعِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ فِيمَا يَقُولُهُ وَمَا يَفْعَلُهُ؛ فَإِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ كَانَ حَسَنًا، وَإِذَا أَخْبَرَ بِخَبَرٍ كَانَ صِدْقًا، وَإِذَا أَرَادَ خَلْقَ شَيْءٍ كَانَ صَوَابًا، فَهُوَ حَكِيمٌ فِي إِرَادَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ".

🖃فَاللهُ -سُبْحَانَهُ- هُوَ الَّذِي يَضَعُ الأُمُورَ فِي مَوَاضِيعِهَا؛ فَهُوَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا عَبَثًا، وَلَمْ يَشْرَعْ شَرْعًا سَفَهًا، فَكُلُّ مَا قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ فَلِحِكْمَةٍ، وَكُلُّ مَا شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فَلِحِكْمَةٍ.

🗁ومعنى "الحكيم": الذي يضع الأمور في مواضعها، ويوقعها مواقعها، ولا يأمر إلا بما فيه الخير، ولا ينهى إلا عما فيه الشر، ولا يعذِّب إلا من استحق، ولا يُقدِّر إلا ما فيه حكمة وهدف، فأفعاله سديدة، وصنعه متقن، فلا يقدِّر شيئاً عبثاً، ولا يفعل لغير حكمة؛ بل كل ذلك بحكمةٍ وعلمٍ وإن غاب عن الخلائق.

🖃خَلَقَ الخلق لحكمةٍ، وقدّر الموت والحياة والجنة والنار لحكمة شريفة وهي العبادة، يسخر هذا لخدمة هذا بحكمته، وهو الحكيم، أحصى كل شيء خلقه ثم هدى، (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

[القمر:49]، أرزاقٌ مكفولة، وأعمال مقدرة، وخلائق مختلفة، وكون محكم لا يختل لحظة واحدة، شمس وقمر، نجوم وجبال، لو طال خروج الشمس لهلك العباد، ولو تأخر القمر على الناس لهلكوا، (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم:27].

الحكيم يقدّر على العبد المصيبة والبلاء، ويحوّل حال الرخاء، فتحل الأحزان، ليس ذلك عبثاً، بل لحكم عظمى.

والحكيم -سبحانه- خالف بين الناس في معايشهم وأوصافهم فلم يجعلهم سواءً؛ لحكمة قال ابن القيم رحمه الله: " الله -سبحانه- يحب أن يشكر، ولذا فاوت بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة في خلقهم وأخلاقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم، فإذا رأى المعافى المبتلى والغنيُ الفقير والمؤمنُ الكافرَ عظُم شكره لله وعرف قدر نعمته عليه وما فضله به على غيره فازداد شكرا وخضوعا واعترافا بالنعمة، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، ولولا خَلقُ القبيح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن، ولولا خَلقُ الظلام لما عرفت فضيلة النور، ولولا خلق أنواع البلاء لما عُرف قدر العافية، ولولا الجحيم لما عرف قدر الجنة، ولو جعل الله -سبحانه- النهار سرمدا لما عرف قدره، ولو جعل الليل سرمدا لما عرف قدره، وأعرف الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء. اهـ.

ومن حكمة الحكيم أنْ فاضَل بين الناس، فوفّق قوماً للدين، ووكل قوماً لأنفسهم فاختاروا الكفر، ولا يعجز الله هدايتهم.

قال ابن القيم -غفر الله له-: في خَلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، ومن حِكم إيجاده أنه -سبحانه- جعله عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصرّ على معصيته، وأنه محكٌّ امتحن الله به خلقه ليتبين به خبيثهُم من طيبهم، ومنها أنه -سبحانه- يحب أن يُظهر لعباده حلمه وصبره وأناته وسعة رحمته وجوده فاقتضى ذلك خلق من يشرك به ويضاده في حكمه. اهـ.

وحين يستقر في النفوس اسم الله "الحكيم": فإن قلب المؤمن حينها يحب ربه الحكيم، ويسلّم لدين الله، ويوقن أن أوامر الله لها حكمة وإن غابت عنا، وكم لله من حِكمٍ في العبادات وإن شقّت! وكذا الحال في المنهيات، فيها حكم بالغة، قد تظهر للمكلّف وقد لا تظهر، فهو الحكيم العليم.

إيماننا بأن الله حكيم يجعلنا نوقن بأن له الحكمةَ البالغة في أقداره وقضائه، فتنجلي الأمور للعبد، ويعلم حينها أن ما قدّره الله هو الخير، قال الله -تعالى-: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة:216]، فعسى أن يكون في المحبوب شراً لك، أو في المكروه خيرا لك.

قال العلماء: إنه مَن يدري؟ فلعل وراء المكروه خيرا، ووراء المحبوب شرا، والعليم بالغايات البعيدة، المطلع على العواقب المستورة هو الذي يعلم وحده، حيث لا يعلم الناس شيئاً، ولأجل هذا فقد كان الأنبياء والصالحون يسلّمون لله في قضائه؛ لعلمهم بحكمته، ويتذكرون عند الملمّات اسم الله الحكيم، أوَلَمْ يقل يعقوب حين علم بحجز ابنه الثاني: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) [يوسف:83]

قال ابن القيم: فكم جنا أهل المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ورسله من قصة يوسف من ثمرة! وكم استفادوا بها من علم وحكمة وتبصرة في حق يعقوب وحق يوسف وحق الإخوة وحق امرأة العزيز وحق أهل مصر وحق المؤمنين إلى يوم القيامة!.

وحين خرج رسول الله -عليه السلام- وأصحابه لينالوا قافلة قريش صرفها الله عنهم، وعرض الجيش لهم، فكره البعض لقياهم، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ، ولم يعلم القوم بحكمة الله في ذلك، فكان لتلك الواقعة أثر إلى قيام الساعة.

فسلِّم الأمر لمولاك، وارض بتقديره، وأيقن بحكمته، فلن يقدّر إلا الخير، ولن يأمر إلا بالأصلح، ولن ينهى إلا عما يضر، وله الحكمة البالغة، والقدرة الباهرة.

حين يشتد الذل على الأمة وتزداد الكربة والمحنة يتساءل البعض: أين نصرة الله لعباده؟ وما الحكمة من تأخر النصر؟ أليس الله على كل شيء قدير؟ فلمَ لا ينصر المؤمنين؟ ما بالنا نرى الشر منتفشاً...؟ وهنا، لزامٌ على المؤمن أن يستذكر اسم الله الحكيم، وكم لله من حكمة في تأخير النصر! ولن يقدر الله أمراً إلا لحكمة.

فالنصر السريع الذي لا يكلف عناء، والذي يتنزل هينا لينا على القاعدين المستريحين، لا يعرف الناس قدره، وربما فرطوا فيه؛ لأنه رخيص الثمن، لم تبذل فيه تضحيات عزيزة.

وقد يبطئ النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر، إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله.

وقد يبطئ النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله.

وقد يبطئ النصر حتى ينكشف أهل الباطل عن حقائقهم، لأنهم كانوا مستورين؛ فأخر الله النصر لتظهر حقيقتهم.

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطئ النصر، فتتضاعف التضحيات، وتتضاعف الآلام، مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

وجماع الأمر أن توقن أن تقدير الله لحكمة، فافعل الأسباب، وارض بتقدير رب الأرباب، ولا يرينّ منك سخطاً ولا اعتراضاً، قف عند ما نهى، وأدِّ ما طلب، فذاك منه لحكمة، وهو الحكيم -سبحانه- الذي له الحكمة البالغة في كل أموره، ولا يُخلق مخلوق ولا يتحرك ساكن ولا يسكن متحرك إلا بحكمة، (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) [التين:8]؟ بلى! ونحن على ذلك من الشاهدين.

ومن معاني الحكيم: من له الحُكم، (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ) [يوسف:40]، فإذا عرفت أن الله -تعالى- له الحكمة فيما شرع وفيما خلق وقدَّر حينئذٍ تستسلم ولا تجادل؛ لأن الذي حكم بذلك هو الله.

ثَمَرَاتُ الإيمَانِ بهَذَيْنِ الاسْمَيْنِ:

1- الحُكْمُ للهِ وَحْدَهُ:

أَنَّ الحُكْمَ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي حُكْمِهِ، كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 26].

وَقَالَ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رحمه الله تَعَالَى: "وَبِذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الحَلَالَ هُوَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ، وَالحَرَامَ هُوَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ، وَالدِّينَ هُوَ مَا شَرَعَهُ اللهُ، فَكُلُّ تَشْرِيعٍ مِنْ غَيْرِهِ بَاطِلٌ، وَالعَمَلُ بِهِ بَدَلُ تَشْرِيعِ اللهِ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِثْلُهُ أَوْ خَيْرٌ مِنْهُ، كُفْرٌ بَوَاحٌ لَا نِزَاعَ فِيهِ" اهـ.

ثُمَّ بَيَّنَ رحمه الله أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ العَظِيمَةِ يَسْتَحِقُّ أَنَّ يَكُونَ لَهُ الحُكْمُ، فَهَلْ يُوجَدُ فِي البَشَرِ مَنْ لَهُ مِثْلُ صِفَاتِ خَالِقِهِ لِيُشَارِكَ رَبَّهُ فِي الحُكْمِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

2- اللهُ سُبْحَانَهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ وَمَا يَشَاءُ هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ:

فَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقْضِي فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْلِيلِ مَا أَرَادَ تَحْلِيلَهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَرَادَ تَحْرِيمَهُ، وَإِيجَابِ مَا شَاءَ إِيجَابَهُ عَلَيْهِم، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَقَضَايَاهُ، وَلَهُ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُرَاجِعَ اللهَ فِي حُكْمِهِ، كَمَا يُرَاجِعُ النَّاسُ بَعْضَهُم البَعْضَ فِي أَحْكَامِهِم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41]، فَحُكْمُهُ فِي الخَلْقِ نَافِذٌ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَرُدَّهُ أَوْ يُبْطِلَهُ.

3- كَلَامُ اللهِ حَكِيمٌ وَمُحْكَمٌ: وَكَيْفَ لَا يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهُوَ كَلَامُ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ وَرَبِّ العَالَمِينَ.

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ القُرْآنَ العَظِيمَ - وَهُوَ كَلَامُهُ المَنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بِأَنَّهُ حَكِيمٌ وَمُحْكَمٌ فِي ثَمَانِ آيَاتٍ مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

وَقَوْلُهُ: ﴿الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: 1، 2].

وَقَوْلُهُ: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: 1، 2].

وَحِكْمَةُ اللهِ تَقْتَضِي ذَلِكَ، تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ حَكِيمًا وَمُحْكَمًا؛ لِأَنَّهُ الكِتَابُ الذِي لَيْسَ بَعْدَهُ كِتَابٌ، وَلِأَنَّهُ الكِتَابُ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ لِيَكُونَ تَشْرِيعًا عَامًّا لِكُلِّ مُجْتَمَعٍ بَشَرِيٍّ وَلِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ، حَتَّى يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

قال الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي: فَالقُرْآنُ حَكِيمٌ فِي أُسْلُوبِهِ الرَّائِعِ الجَذَّابِ، وَحَكِيمٌ فِي هِدَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَحَكِيمٌ فِي إِيضَاحِهِ وَبَيَانِهِ، وَحَكِيمٌ فِي تَشْرِيعَاتِهِ وَحَكِيمٌ فِي كُلِّ أَحْكَامِهِ، وَحَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَكِيمٌ فِي تَرْغِيبِهِ وَتَرْهِيبِهِ، وَحَكِيمٌ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَحَكِيمٌ فِي أَقَاصِيصِهِ وَأَخْبَارِهِ، وَحَكِيمٌ فِي إِقْسَامِهِ وَأَمْثَالِهِ، وَحَكِيمٌ فِي كُلِّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ. وَالقُرْآنُ أَيْضًا مُحْكَمٌ فَلَا حَشْوَ فِيهِ، وَلَا نَقْصَ وَلَا عَيْبَ كَمَا يَكُونُ فِي كَلَامِ البَشَرِ، اللهُ أَكْبَرُ مَا أَعْظَمَ هَذَا القُرْآنَ، لَقَدْ بَلَغَ الغَايَةَ فِي البَهَاءِ وَالجَمَالِ وَالكَمَالِ.

4- الإِيمَانُ يَقْتَضِي تَحْكِيمَ كِتَابِ اللهِ بَيْنَنَا:

وَالإِيمَانُ بِمَا سَبَقَ يَقْتَضِي تَحْكِيمَ كِتَابِ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ بَيْنَنَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ كِتَابٌ مِثْلَ القُرْآنِ حَكِيمًا فِي كُلِّ شَيءٍ.

✉لِأَنَّ مَا شَرَعَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الأَحْكَامِ وَالمُعَامَلَاتِ وَالقِصَاصِ وَالحُدُودِ وَتَقْسِيمِ المَوَارِيثِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ هِيَ فِي مُنْتَهَى الحِكْمَةِ؛ لِأَنَّهَا تَشْرِيعُ الحَكِيمِ العَلِيمِ سُبْحَانَهُ، الذِي لَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ، وَلِأَنَّهَا قَضَاءُ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَوَاضِعُ المَصْلَحَةِ فِي البَدْءِ وَالعَاقِبَةِ.

✉وَقَدْ نَبَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ لِهَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، وقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: 10]، وقَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8].

وَلِذَا فَإِنَّكَ تَجِدُ آيَاتِ الأَحْكَامِ كَثِيرًا مَا تَشْتَمِلُ خَوَاتِيمُهَا عَلَى اسْمِهِ (الحَكِيمِ)، وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ:

قَوْلُهُ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 11]. وقَوْلُهُ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 24]. وقَوْلُهُ فِي القَتْلِ الخَطَأِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 92].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 130].

5- الإِيْمَانُ يَقْتَضِي تَحْكِيمَ الرَّسُولِ بَيْنَنَا:

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم بِأَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنَ الأَحْكَامِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَأَنْ يَتْرُكَ مَا سِوَاهَا مِنَ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: 48]، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة: 49].

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الأَمْرُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَاصَّةً، وَإِنَّمَا هُوَ مَا أُمِرَتْ بِهِ جَمِيعُ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، يُبَيِّنُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: 213].

✉وَالمُؤْمِنُونَ يَرْضَوْنَ بِحُكْمِ اللهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: 51].

✉أَمَّا مَنْ لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ وَتَرَكَ تَشْرِيعَ الحَكِيمِ العَلِيمِ، وَأَخَذَ بِآرَائِهِ وَمَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ عَقْلُهُ مِنْ أَفْكَارٍ، أَوِ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُ وَمَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ، فَقَدْ وَقَعَ فِي هَاوِيَةِ الكُفْرِ أَوِ الفِسْقِ التِي حَكَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ.

✉وَقَالَ سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 45]، وَقَالَ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: 47].

6- اللهُ سُبْحَانَهُ يُؤْتِي حِكْمَتَهُ مَنْ يَشَاءُ:

كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: 269].

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُ المُفَسِّرِينَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾؛ فَمِنْهُم مَنْ قَالَ: هِيَ الإِصَابَةُ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ، وَقِيلَ: هِيَ الفِقْهُ فِي القُرْآنِ وَالفَهْمِ فِيهِ، وَقَالَ بَعْضُهُم: هِيَ الفَهْمُ وَالعَقْلُ فِي الدِّينِ وَالاتِّبَاعِ لَهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النُّبُوَّةُ، وَقِيلَ هِيَ: الخَشْيَةُ للهِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ جَامِعًا بَيْنَ الأَقْوَالِ السَّابِقَةِ: .... فَتَأْوِيلُ الكَلاَمِ: يُؤْتِي اللهُ إِصَابَةَ الصَّوَابِ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتِهِ اللهُ ذَلِكَ فَقَدْ آتَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا".

7- جَوَازُ غِبْطَةِ مَنْ أُوتِيَ الحِكْمَةَ:

وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَنْ أُوتِيَ الحِكْمَةَ يَنْبَغِي أَنْ يُغْبَطَ لِعِظَمِ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ.

وَهُوَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"[رواه البخاري].

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ بَعْضَ الَّذِينَ آتَاهُم الحِكْمَةَ وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ.

فَامْتَنَّ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 54].

وَعَلَى عِيسَى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: 110].

وَعَلَى داود: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة: 251].

وَعَلَى لُقْمَانَ العَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ حِكْمَتَهُ.

8- خَلْقُ اللهِ سُبْحَانَهُ مُحْكَمٌ لَا خَلَلَ فِيهِ وَلَا قُصُورَ:

قال الشيخ عبد الرزاق بن محسن البدر: "أمَّا الحكمة في الخلق فإنه سبحانه خلق الخلق بالحق، ومشتملًا على الحق، وكان نهايته وغايته الحق، أوجده بأحسن نظام، ورتَّبه بأكمل إتقان، وأعطى كل مخلوق خلْقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خِلقته وهيئته اللائقة به، بحيث لا يُرى فيه شيءٌ من التفاوت والخلل، قَالَ تَعَالَى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: 88]، وَقَالَ: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك: 3].

أَيْ: خَلَقَهُنَّ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ مُسْتَوِيَاتٍ لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَافُرٌ وَلَا نَقْصٌ وَلَا عَيْبٌ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾؛ انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَأَمَّلْهَا هَلْ تَرَى فِيهَا عَيْبًا أَوْ نَقْصًا أَوْ خَلَلًا أَوْ فُطُورًا وَشُقُوقًا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: 4]؛ أَيْ: مَهْمَا كَرَّرْتَ البَصَرَ مَرَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ لَرَجَعَ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا عَنْ أَنْ يَرَى عَيْبًا أَوْ خَلَلًا، وَهُوَ حَسِيرٌ أَيْ: كَلِيلٌ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ الإِعْيَاءِ مِنْ كَثْرَةِ التَّكَرُّرِ وَلَا يَرَى نَقْصًا.

قال: لو اجتمعت عقول الخلق على أن يقترحوا مثلًا أو أحسن من هذه الموجودات لم يقدروا على ذلك.

9- الحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الخَلْقِ:

✉إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الخَلْقَ لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، وَغَايَةٍ جَلِيلَةٍ وَهِيَ عِبَادَتُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ عَبَثًا وَبَاطِلًا كَمَا يَظُنُّ الكُفَّارُ وَالمَلَاحِدَةُ.

✉قالت الأستاذة أناهيد: لابد أن تكون عبدًا، إن لم تكن عبدًا لله كنت عبدًا لهواك.

🗁لو أصبحت عبدًا لله: سيكون لك سيّد ومولى، تتوكل عليه فيكفيك، تناديه فيسمعك، تسترزقه فيرزقك، إن كنت في مأزق يفرّج عليك، إن كنت في ضيق يلطف بك، يناديك في الثلث الأخير من الليل: "مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟" كلما شعرت بشعور الخوف إليه تفزع، إليه تصمد، يكفيك، ويؤويك، بل يعاملك بالجَبْر فيجبر قلبك، ويعاملك باللطف فيخرجك من مضائق حياتك، ويعاملك بتمام الرأفة فيمهّد لك الأرض، ويعطيك ما يحملك وينقلك، كل هذا سيكون لك! إذًا ما الذي يضرّك في عبوديته؟!

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: 115، 116].

🗐قال الشيخ عبد الرزاق البدر: فإن شرعه قد اشتمل على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علمًا وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها، ويحصل لها أفضل المعارف وأجلّ العلوم".

✉قال: "وأوامره كلها منافع ومصالح، وتُثمِر الأخلاق الجميلة والخصال الكريمة والأعمال الصالحة والطاعات الزاكية، والهدي الكامل.

✉قال: "ونواهيه كلها موافقة للعقول الصحيحة والفِطَر السليمة، فلم ينهَ إلا عمّا يضر الناس في عقولهم وأخلاقهم وأعراضهم وأبدانهم وأموالهم"

✉قال: "ومن حُكمه وحِكمته سبحانه مجازاة المحسِن بإحسانه، والمسيء بإساءته".

✉وَجَعَلَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَوْعِدًا لَهُمْ، وَيُرْجَعُونَ إِلَيْهِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى.

10- كَرَاهِيَةُ التَّكَنِّي بِأَبِي الحَكَمِ:

فَعَنْ هَانِئِ بْنِ يَزِيدٍ أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ قَوْمِهِ سَمْعَهُم يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الحَكَمِ؛ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الحَكَمِ؟" فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُم فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟" قَالَ: لِيَ شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: "فَمَنْ أَكْبَرُهُم؟" قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: "فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ"[أخرجه أبو داود].

فَتَغْيِيرُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِكُنْيَةِ الصَّحَابِيِّ دَلِيلٌ عَلَى كَرَاهَتِهِ التَّكَنِّي بِهَذَا الاِسْمِ أَوِ التَّسَمِّي بِهِ.

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: "وَإِنَّمَا كُرِهَ لَهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يُشَارِكَ اللهَ تَعَالَى فِي صِفَتِهِ"[النهاية].

11-إِثْبَاتُ صِفَةِ الْعَدْلِ للهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ فَاللهُ عَدْلٌ فِي حُكْمِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَلاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَا يُحَمِّلُ أَحَدًا وِزْرَ أَحَدٍ، وَلَا يُجازِي الْعَبْدَ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَلَا يَدَعُ صَاحِبَ حَقٍّ إِلاَّ أَخَذَهُ؛ فَهُوَ الْعَدْلُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَأَقْوَالِه وَأَفْعَالِه، وَشُؤُونِهِ كُلِّهَا، قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[الأنعام: 115].

12-الإِنْقِيَادُ وَالْقَبُولُ لِجَمِيعِ أَحْكَامِ اللهِ -تَعَالَى-، وَالإِسْتِسْلاَمُ لِشَرْعِ اللهِ، وَتَحْكِيمُ كِتَابِهِ، وَاتِّبَاعُ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء:65].

🗁ما دليل رضا الله عنك؟ انشراح صدرك، وقبولك لأحكامه وحكمه وشرعه وجزائه، وأن يقع في قلبك أنت الرضا عن الله، فتُنادى فتكون أنت النفس المطمئنة التي يقال لها: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)[الفجر:28] يعيش حياته حتى لو تقلّب في الذنوب والمعاصي والأخطاء لكنه دائم التوبة والأوْبة والإنابة إلى ربه والاستغفار.

اللهم ارزقنا تعظيمك، ويقيناً بحكمتك، ومعرفة أسمائك وصفاتك، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى.

المراجع:

❶شرح اسم الله (الحكيم): طريق الإسلام.

❷الحكيم: وليد بن سالم الشعبان.

❸الحكيم الحكم: محمد بن سليمان المهوس.

❹الحكيم : عبد الرزاق بن محسن البدر.